مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والسياسية

اسم المقال: العلاقات السياسية للدولة العباسية في عهد الخليفة "هارون الرشيد"
اسم الكاتب: فراس البشارة
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/466
تاريخ الاسترداد: 2025/05/11 06:24 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والسياسية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

العلاقات السياسية للدولة العباسية في عهد الخليفة "هارون الرشيد"

فراس البشارة*

الملخص

شهدت السياسة الدولية في القرون الوسطى وجود أربع قوى متنافسة، تمثلت في الدولة العباسية، والإمبراطورية البيزنطية، ومملكة الفرنجة، وإمارة الأمويين في الأندلس. وقد أدى التنافس ما بين هذه الدول إلى حالة من الصراع ما بين الإمبراطورية العباسيّة والإمبراطورية البيزنطية؛ إذ تمكن هارون الرشيد من فرض الجزية على البيزنطيين، كما تقارب مع شارلمان ملك الفرنجة؛ فتبادل معه الهدايا والبعثات الدبلوماسية، كما أقر الرشيد بسياسة الأمر الواقع في علاقته مع إمارة الأمويين في الأندلس التي كانت على خلاف مع شارلمان حليف الرشيد.

* حائز على شهادة ماجستير– قسم الدراسات السياسيّة– كليّة العلوم السياسيّة — جامعة دمشق.

Policy of the Abbasid state during the reign of caliph "Harun al-Rashid"

Firas Al Bshara*

Abstract

In the Middle Ages, there were four competing powers, namely the Abbasid state, the Byzantine Empire, the Kingdom of the Franks, and the Principality of the Umayyad of Andalusia.

The competition between these countries led to a state of conflict between the Abbasid Empire and the Byzantine Empire, when Harun Al-Rashid was able to enforce restrictions on the Byzantines, and he also approached the King of the Franks, Charlemagne, sharing gifts and diplomatic missions with him .

Al-Rashid also acknowledged the policy of fait accompli in his relationship with Principality of the Umayyad of Andalusia ،which was at odds with Charlemagne ،Al-Rashid's ally.

*Master degree - Department of political studies- Faculty of Political Sciences- Damascus University.

المقدمة:

أدت المصالح السياسية المشتركة خلال العصور الوسطى إلى التقارب ما بين الدولة العباسية ومملكة الفرنجة بالنظر إلى وحدة العدو المشترك المتمثل في الإمبراطورية البيزنطية شرق أوربا، والإمارة الأموية في الأندلس، فكانت الدولة العباسية في صراع شبه مستمر مع الإمبراطورية البيزنطية، في حين شاطرت مملكة الفرنجة العداء للإمارة الأموية في الأندلس.

وقد حاول العباسيون استعادة السيطرة على الأندلس، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، فيما اشتد التنافس بين الإمبراطور البيزنطي وملك الفرنجة حول وراثة الإمبراطورية الرومانية القديمة. وبالمقابل، أدى التقارب ما بين العباسيين والفرنجة إلى نوع من التقارب بين الأمويين والبيزنطيين في مرحلة لاحقة.

أهمية البحث:

اكتسبت الدولة العباسيّة في عهد الرشيد أهمية خاصة من حيث إشرافها على المراكز الدينية، ومحاولة توسعها في آسيا الوسطى والحفاظ على وجودها في المغرب العربي، الأمر الذي شكّل أحد الأسس المحددة لطبيعة علاقاتها بالدولة البيزنطية في شرق أوربا، والإمارة الأموية في الأندلس. وفي ذات الوقت، أدى العداء لكل من هاتين الدولتين إلى التقارب مع شارلمان ملك الفرنجة.

أهداف البحث:

يدرس هذا البحث العلاقات ما بين الدولة العباسيّة وكل من: (الإمبراطورية البيزنطية، ومملكة الفرنجة، والإمارة الأموية في الأندلس)، وهي علاقات اتسمت بالعداء لكل من بيزنطة والأمويين، والتقارب مع الفرنجة بوصفه شكلاً من أشكال توازنات القوى السائدة في العصور الوسطى.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في طبيعة العلاقات ما بين الدولة العباسية والدول المتاخمة لها؛ إذ تسعى العديد من الدراسات العربية والغربية إلى التطرق لشخصية هارون الرشيد في جوانبها السلبية (حياة اللهو والمجون والترف)، كما تهتم اهتماماً واسعاً بالخلافات الداخلية والثورات المناوئة له في الحكم، دون الاهتمام بعلاقات الدولة العباسية– التي كانت عاصمتها بغداد منارة للعلم– مع غيرها من الممالك والإمبراطوريات، ولعل ما يوضح ذلك تضارب المعلومات في العديد من المصادر العربية حول تواريخ ما حملته البعثات المتبادلة بين الرشيد وشارلمان ملك الفرنجة وطبيعتها.

انطلاقاً من المشكلة السابقة يطرح الباحث السؤال الآتي:

كيف تجسدت العلاقات بين الدولة العباسية في زمن الرشيد مع غيرها من القوى الأخرى السائدة آنذاك؟

فرضية البحث:

إن الهدف من التحالف بين الدولة العباسية ومملكة الفرنجة هو مواجهة النفوذ البيزنطي والأموي.

منهجية البحث:

اعتمد المنهج الوصفي الذي يعرف بأنه: "دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ووصفها وصفاً وثيقاً ويعبّر عنها تعبيراً كيفياً أو كمياً بغية الوصول إلى استنتاجات تسهم في فهم الواقع وتطويره"؛ إذ يسعى الباحث إلى تحديد طبيعة العلاقات بين الدولة العباسية وكلاً من الدولة البيزنطية، وإمارة الأمويين في الأندلس، إلى جانب التطرق إلى عوامل التقارب بين العباسيين والفرنجة.

صعوبات البحث:

اتسم هذا البحث بدرجة من عدم اليقين بسبب الخلافات حول تواريخ الهدايا المتبادلة بين البعثات وطبيعتها، وأهداف العلاقات بين الدولة العباسيّة في عهد الرشيد ومملكة

الفرنجة في عهد شارلمان التي تحولت لاحقًا إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة، بالنظر إلى عدم الاتفاق على مرجعية موحدة لتوثيقها من قبل المؤرخين العرب، ومبالغة المصادر اللاتينية في تصوير هذه الصلات تعظيمًا لمركز الإمبراطور شارلمان في الغرب.

مخطط البحث:

المقدمة:

المبحث الأول: توازنات القوى في العصور الوسطى وواقع الدولة العباسيّة:

المطلب الأول– توازنات القوى مطلع القرن التاسع الميلاديّ.

المطلب الثاني– الدولة العباسيّة في زمن هارون الرشيد.

المبحث الثاني: العلاقات الخارجية في عهد هارون الرشيد:

المطلب الأول– العلاقة مع الإمبراطورية البيزنطية.

المطلب الثاني– التحالف العباسي– الفرنجي (الكارولنجي).

المطلب الثالث– سياسة هارون الرشيد نحو المغرب العربي والأندلس.

الخاتمة

نتائج البحث

قائمة المراجع

المبحث الأول: توازنات القوى في العصور الوسطى وواقع الدولة العباسية:

يبحث هذا المبحث في طبيعة القوى المتنافسة خلال العصور الوسطى، ودوافع تنافسها لتوضيح ملامح توازنات القوى السائدة آنذاك، من حيث التقارب العباسي- الفرنجي، ومن ثم يتناول شكل الدولة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد وملامحها.

المطلب الأول- توازنات القوى مطلع القرن التاسع الميلادي

شهدت نهاية القرن الثامن الميلادي وبداية القرن التاسع منه وجود أربع قوى متنافسة هي:

- دولة الخلافة العباسية في المشرق حكمها الخليفة أبو عبد الله المهدي (775- 786م)، وتسلم الخلافة من بعده ابنه موسى الهادي (786 - 787م)، ومن ثم هارون الرشيد (787 - 809 م).
- الإمارة الأموية في الأندلس تأسست نتيجة سقوط الدولة الأموية في المشرق على يد بني العبَّاس، فحكمها عبد الرحمن الداخل (731 - 788م)، وخلفه ابنه هشام (788 - 796م) ومن بعده الحكم بن هشام (796 - 822م).
- الإمبراطورية البيزنطية في الشرق الأوربي، حكمتها الإمبراطورة "إيرينا" (780-802م)، ومن خلفها الإمبراطور نقفور (802-811م).
- مملكة الفرنجة وتعرف بالإمبراطورية الرومانية (الكارولنجية) حكمها شارلمان (768- 800م) وعرفت باسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة بعد أن قام البابا (ليو الثالث) بتتويج شارلمان إمبراطوراً على أوربا الغربية في العام 800 م ليستمر شارلمان في الحكم خلال الفترة (800- 814م).

وقد كانت إمبراطورة بيزنطة "إيرينا" على عداء مع الملك شارلمان بسبب توسعاته في إيطاليا وضمه للأراضي التي كانت تحت سيطرة البيزنطيين، إضافة إلى الاختلاف المذهبي بين الكنيستين الشرقية والغربية. وقد حاول "شارلمان" و"إيرينا" إنهاء هذا العداء عبر الزواج وتوحيد الإمبراطوريتين في محاولة لاستعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية

القديمة،[1] لكن تلك الخطة فشلت وأدت إلى ثورة في الإمبراطورية البيزنطية كانت عاقبتها خلع الإمبراطورة "إيرينا" من الحكم، وتعيين نقفور الأول بديلاً لها؛ إذ قام نقفور بعقد معاهدة مع شارلمان حددت تخوم كلا الإمبراطوريتين.[2]

وبالتالي يمكن القول: إن العلاقات الدولية في تلك المرحلة تأثرت بطبيعة توازنات القوى السائدة آنذاك، من حيث تقارب الخلافة العباسية مع دولة الفرنجة نتيجة المصالح السياسية، ويعود ذلك إلى:

- الخصومة التقليدية بين الدولة العباسيّة والإمبراطورية البيزنطية، وكذلك الصراع بين ملك الفرنجة والإمبراطور البيزنطي حول وراثة تاج الدولة الرومانية.
- الخلاف بين الدولة العباسيّة والدولة الأمويّة في الأندلس في محاولة لإعادة هذه البلاد إلى كنف الخلافة العباسية، وكذلك العداء ما بين دولة الفرنجة والدولة الأموية في الأندلس بفعل تجاورهما واتجاه المسلمين نحو التوسع نحو الشمال من جهة، ومحاولة الفرنجة السيطرة على أوروبا– بما فيها الأندلس– لاسيما أن بلاد الغال (فرنسا) التي يشغلونها تجاور مباشرة حدود إمارة الأمويين في الأندلس عند جبال البرنس.[3]
- رغبة ملك الفرنجة في إعطاء تسهيلات لرعاياه الراغبين بالحج للأماكن المقدسة في فلسطين، والواقعة تحت رعاية الدولة العباسيّة.
- العداء بين البابا حليف "شارلمان" وبطريرك القسطنطينية وتنافسهما حول السيادة الروحية على العالم المسيحيّ.

وفي ذات الوقت الذي سعى فيه العباسيون إلى التقرب من دولة الفرنجة المسيحية، ظهر محور سياسي آخر بتقارب البيزنطيين مع أمراء بني أمية في الأندلس ليجعلوا منهم

---

[1]) عبد الحافظ، أحمد: أيام الرشيد (القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 2015)، ص307

[2] الخضري بك، محمد والعثماني، محمد: الدولة العباسية: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (بيروت: دار الأرقم، ط1، 2016)، ص107

[3] العدوي، إبراهيم: السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى (القاهرة : دار المعارف، 1957)، ص11

حليفاً ضد خطر الفرنجة المتزايد، إلا أن هذا التقارب لم يخرج عن الإطار الودي؛ إذ لم يعقبه، مثلاً، تبادلات تجارية؛ ويعود ذلك إلى بُعد المسافة بينهما.[4]

كما خشي العباسيون من أن يؤدي ازدياد نفوذ الأمويين في الأندلس إلى تقليص النفوذ العباسي في شمال إفريقيا، مما اقتضى خلق محاور سياسية بين العباسيين ونظرائهم من الفرنجة تتوازى مع طبيعة المصالح السياسية والدبلوماسية والعسكرية التي حكمت العلاقات الأندلسية- البيزنطية.[5]

وقد أدى تنافس القوى الأربع واختلاف مطالبها إلى ظهور نشاط سياسي حافل في العصور الوسطى يقوم نظريًا على التقارب مع الدول البعيدة ضد دول الجوار القريبة لما تشكله من تهديد لاستقرار تلك الحكومات في ذلك الوقت.

المطلب الثاني- الدولة العباسية في زمن هارون الرشيد

بعد وفاة أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين والمؤسس الفعلي للدولة العباسيّة في العام 774م، تسلّم ابنه المهدي منصب الخلافة، ومع وفاة المهدي تسلم الخلافة ابنه موسى الهادي في العام 784م؛ إذ توجه إلى بغداد لممارسة مهام عمله وأخذ البيعة، ولم تستمر مدة خلافته سوى سنة وثلاثة أشهر.

ومع وفاة موسى الهادي بويع هارون الرشيد* بالخلافة في العام 786م وكان يبلغ من العمر 22 عاماً، وقد كانت الدولة العباسية حين آلت خلافتها إليه مترامية الأطراف، تمتد من وسط آسيا حتى المحيط الأطلسي، وكانت عاصمتها بغداد ملتقى الوفود والسفارات من مختلف بقاع الأرض.

---

[4] (Mary McWilliams ،ed., In Harmony :The Norma Jean Calderwood Collection of Islamic Art ،exh .cat., Harvard Art Museums (Cambridge, MA, 2013), p. 243

(5) عطا، سمير: العلاقات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان، مجلة الفيصل (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد 306، 2002)، ص68

* هو أبو جعفر بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الخامس ولد في مدينة الري عام 766م

وقد باتت بغداد في عهد الرشيد مركزاً للثقافة والتجارة؛ إذ أنشأ ما يعرف بمكتبة بيت الحكمة، وزودها بأعداد كبيرة من الكتب والمؤلفات، كما أسس في بغداد أول مصنع للورق 795م، فارتقت في عهده العلوم وسمت الفنون والآداب؛ إذ نشطت الحركة العلمية وازدهرت ترجمة كتب العلوم الإغريقية والهندية إلى اللغة العربية على يد السريان والفرس والروم من أهالي الدولة العباسية، فيما عمل المسلمون على تطوير تلك العلوم.[6]

ومن جانب آخر، تجلت مظاهر تطور الدولة العباسية خلال عهد الرشيد في توسيع دور الوزارة، فبرزت الحاجة إلى أشخاص يعينهم الخليفة يتمتعون بالحكمة والدراية في تدبير أمور الدولة سياسياً وإدارياً؛ إذ انقسمت الوزارة إلى:

- ❖ وزارة تفويض: عين الرشيد (يحيى بن خالد البرمكي) وزيرًا له، فكان من صلاحياته:
  - التصرف في بيت المال.
  - الجلوس في المحاكم.
  - تسيير الجيوش وتجهيزها.
  - تعيين الولاة وعزلهم (باستثناء من عينهم الخليفة).
- ❖ وزارة تنفيذ: مهمة الوزير تقديم المشورة ومتابعة تنفيذ أوامر الخليفة، وعدم التصرف في شؤون الدولة من تلقاء نفسه، بل كان يعرض أمور الدولة على الخليفة ويتلقى أوامره فيها.

كما طور الرشيد الدواوين فاستحدث ديوان (الصوافي)؛ ويشمل أراضي الدولة الإسلامية التابعة للرشيد بصفته خليفة للمسلمين، وكذلك استحدث ديوان (الضياع)؛ وهي ضياع كثيرة منتشرة في كل أصقاع الدولة الإسلامية ومسجلة باسم الخليفة وأسرته.[7]

---

[6] (Benjamin Jokisch ،Islamic Imperial Law :Harun-Al-Rashid's Codification Project) Berlin ،Walter de Gruyter ،(2011 ،p.74)

[7] الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (بغداد: مطبعة المعارف، 1948)، ص 26–25

المبحث الثاني: العلاقات الخارجية في عهد هارون الرشيد:

المطلب الأول: العلاقة مع الإمبراطورية البيزنطية:

تعود شهرة هارون الرشيد قبل توليه الخلافة إلى حروبه ضد الإمبراطورية البيزنطية؛ إذ عينه والده الخليفة المهدي قائدًا للجيش الذي ضم عدداً من كبار القادة وأمراء الدولة، وكان عمر هارون حينها لا يتجاوز الخمسة عشر عاماً؛ إذ خرج الجيش في العام 779م إلى أراضي الإمبراطورية البيزنطية، وتوغل فيها وحاصر قلعة رومية (سمالوا) ثمانية وثلاثين يوماً حتى انتهى الأمر بفتحها ودخول طرسوس، وعاد الرشيد بالجيش سالمًا محملاً بالغنائم فاستقبله أهل بغداد وكافأه الخليفة المهدي بتوليته بلاد أرمينيا وأذربيجان.[8]

بلغت الإمبراطورية البيزنطية حالة من الضعف بعد وفاة الإمبراطور (ليو الرابع) في العام 780م؛ إذ تولت الملكة "إيرينا" الحكم بالوصاية على العرش لابنها القاصر (قسطنطين السادس) البالغ من العمر تسع سنوات، وقد شن الخليفة المهدي حملة ثانية على الإمبراطورية البيزنطية بقيادة الرشيد في العام 782م/ 165هـ عبر فيها آسيا الصغرى ودمر حصن ماجدة، وواصل سيره حتى أشرف على خليج البحر المطل على أسوار القسطنطينية.[9]

لذلك اضطرت "إيرينا" إلى طلب الصلح من الرشيد،[10] وتم توقيع معاهدة مدتها ثلاث سنوات لقاء جزية سنوية (سبعين ألف دينار سنويًا) وتسليم أسرى المسلمين، وأن تقيم لهم الأسواق والأدلاء في الطريق عند عودتهم إلى بلادهم.[11] كما أرسلت معه

---

[8] المهنا، انا , محمد: تاريخ الدولة العباسية، الجزء الأول (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2017)، ص31

[9] عبد الحافظ، أحمد: أيام الرشيد، مرجع سابق، ص282

[10] غيفونديان، آرام تير: أرمينيا والخلافة العربية، ترجمة: ألكسندر كشيشيان (دمشق: نادي الشبيبة السورية الثقافي، 2017)، ص136

[11] رمضان، عبد العظيم: الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية (القاهرة: دار المعارف، 1983)، ص172

الهدايا لوالده الخليفة المهدي الذي أخذ له البيعة بوصفه ولياً للعهد بعد أخيه الأكبر موسى الهادي، فأصبح هارون الرشيد ولي العهد الثاني.[12]

ومع تولي الرشيد للحكم (786م–809م) استعر الصدام العسكري مجدداً مع البيزنطيين؛ إذ كانت المعاهدة التي عقدها مع "إيرينا" (بوصفه ولياً للعهد) شارفت على الانتهاء، ولإدراكه مدى الخطر البيزنطي، اتخذ مجموعة من الخطوات الدفاعية المهمة أبرزها:

- وضع الجيش تحت إمرته المباشرة (لضمان ولاء الجيش له بالدرجة الأولى).
- نقل مقر إقامته إلى الرقة في العام 796م/ 180 هـ ليكون في موضع متوسط ما بين الجبهة البيزنطية من جانب وإقليم أرمينية وأذربيجان من جانب آخر، وهي أكثر الأقاليم اضطراباً في دولته.
- أعاد الرشيد إلى الأسطول الإسلامي نشاطه وحيويته، ليواصل ويدعم حروبه مع البيزنطيين ويسيطر على الملاحة في البحر المتوسط؛ إذ أغار على أقريطش "كريت"، وقبرص في العام 806 م/ 190هـ. [13]
- قام بتنظيم الثغور المطلة على بلاد الفرنجة وفق نظامين:

الأول: النظام الأمامي (الثغور): وهي الحصون والمناطق الحدودية المواجهة للثغرات الموجودة في أرض العدو، وتضم ثغور الجزيرة والشام المتاخمة لبلاد البيزنطيين، مثل: قلطية، وسميساط، ومرعش، وكان الروم قد هدموها وأحرقوها فأعاد الرشيد بناءها، وعمل على تقويه الجيش العباسي المرابط فيها، وجعل قاعدته مدينة منبج في شمال شرق حلب نقطة الانطلاق للغزوات ورتب فيها جيشاً دائماً.

الثاني: النظام الخلفي: ويضم الأقاليم الخلفية وخطاً دفاعياً يمتد على طول السهول والحصون الجنوبية؛ إذ عزل الجزيرة وقنسرين عن الثغور، وجعلها منطقة واحدة، وجعل

---

(12) عبد الحكيم، منصور: هارون الرشيد سيد ملوك بني العباس الخليفة الذي شوه تاريخه عمدا (دمشق: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، 2011)، ص106

(13) حسن، حسن: تاريخ الإسلام تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الثاني (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1948)، ص247

عاصمتها أنطاكية، وأطلق عليها (العواصم) لتكون الخط الثاني للثغور الملاصقة للبيزنطيين، وجعل مهمتها مساندة مناطق الثغور وإمدادها بالعتاد والرجال والمؤن.[14]

بعد الانتهاء من إنجازات التحصين والدعم ابتدأت الصدامات العسكرية المتبادلة فنشطت حركة الصوائف (الغزوات)، بعد أن امتنعت "إيرينا" عن دفع الجزية للرشيد بالنظر لانتهاء المدة الحاكمة للمعاهدة التي وقعتها معه في عهد أبيه المهدي، فوجه إليها حملتين برية وبحرية، الأمر الذي اضطر الإمبراطورة البيزنطية إلى طلب الهدنة والمصالحة،[15] مقابل دفع الجزية السنوية له في العام 797م/181هـ، وقد ظلت المعاهدة سارية إلى حين تولي الإمبراطور "نقفور" الأول بعد أن خلع "إيرينا "عن العرش في العام 802م/186هـ.[16]

وكتب إلى هارون الرشيد :"من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد فإن الملكة إيريني التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ (القلعة في الشطرنج)، وأقامت نفسها مقام البَيْدق (الجندي في الشطرنج)، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتدِ نفسك بما يقع به المبادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك".[17]

فلما قرأ هارون هذه الرسالة ثارت ثائرته، وغضب غضباً شديداً، وكتب على ظهر رسالة الإمبراطور: "من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام".

ترأس الخليفة الرشيد الجيش بنفسه أواخر العام 803م/187هـ، حتى وصل "هرقلة" وهي مدينة بالقرب من القسطنطينية، هبّ "نقفور" لإنقاذ الوضع فانتقل

---

[14] صقر، نادية حسني: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول (مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، ط1، 1985)، ص21

[15] عطا، سمير : العلاقات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان، مرجع سابق، ص67

[16] تمام، أحمد: "هارون الرشيد... والعصر الذهبي للدولة العباسية" موقع إلكتروني: إسلام أون لاين، د.ت https://archive.islamonline.net/?p=9104

[17] صقر، ناديا حسني: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص21

إلى الأناضول وبعد شهرين من المفاوضات مع الخليفة تم التوصل لوقف القتال لقاء حمل مال الجزية إلى الخليفة الرشيد مقابل انسحابه، فوافق الرشيد على عرض الصلح، وعاد إلى بلاه مكتفياً بما حققه.

لكن "نقفور" نقض المعاهدة بعد عودة الرشيد إلى الرقة، وكان البرد شديداً فيئس "نقفور" من رجعته إليه، وقام بتقوية القلاع والتحصينات الحدودية وأوقع بالمسلمين في جنوب آسيا الصغرى،[18] كما هاجم عين زربة والكنيسة السوداء وأدنة، واستولى على طرسوس، وضيق على مرعش 806م/ 190 هـ، ولم يتمكن العباسيون من صده نظرًا لانهماك الخليفة بقمع الحركات الداخلية المناوئة.

اضطر الرشيد لقيادة جيش ضخم عدته 135 ألف جندي ضد "نقفور"، فاخترق آسيا الصغرى واستولى على حصون كثيرة، كانت قد فقدت من أيام الدولة الأموية، مثل "طوانة" و"لؤلؤة"، و"قيصرية"، حتى وصل هرقلة (إحدى أهم المدن البيزنطية)، فحاصرها واستولى عليها عنوة في العام 806 م، وتوغل داخل الأملاك البيزنطية، عندها شعر "نقفور" أن ميزان القوى لم يعد لصالحه وأنه من شبه المستحيل أن يتمكن من الوقوف في وجه الرشيد، فأخذ يبحث عن وسيلة للخروج من هذا المأزق، ولم تكن هذه الوسيلة سوى الصلح، فاتصل بالرشيد وخاطبه بأمير المؤمنين، وعرض عليه الصلح والموادعة، وبعد مفاوضات مضنية وطويلة اتفق الطرفان على معاهدة صلح تضمنت البنود الآتية:[19]

- يلتزم "نقفور" بدفع الخراج والجزية بمقدار ثلاثمائة ألف دينار سنوياً.
- يمتنع "نقفور" عن إعادة بناء الحصون التي هدمها المسلمون أو ترميمها مثل: هرقلة وأنقرة ودبسة والصفصاف.

[18] كلو ، أندريه: هارون الرشيد ولعبة الأمم، ترجمة: صادق الموسوي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2005)، ص 134.

[19] القطان، أحمد والزين، محمد طاهر: هارون الرشيد الخليفة المظلوم (الكويت: مكتبة السندس، 1989)، ص 120– 121

- تعهد الرشيد من جانبه بعدم تخريب الحصون.
- أن يقوم برد المعسكرات التي كانت في حوزته إلى البيزنطيين.
- تستمر الهدنة مدة ثلاثة سنوات.

على الرغم من توقيع المعاهدة لم يلتزم "نقفور" ببنودها، فأعاد ترميم الحصون التي حرمت المعاهدة تحصينها، وعندما علم الرشيد بذلك استأنف العمليات العسكرية ضده ونجح في فتح حصن دبسة للمرة الثانية.[20]

ولم تقتصر حروب الرشيد مع البيزنطيين على آسيا الصغرى بل تعدتها إلى البحر الأبيض المتوسط، في محاولة لمساندة القوات البرية، فهاجمت البحرية العباسية جزيرة قبرص في العام 806 م كما غزت جزيرة كريت، إلا أن الرشيد اعتبر الموانئ البحرية مجرد قواعد دفاعية لا هجومية.

وعلى الرغم من الانتصار الكبير الذي حققه الرشيد، واندلاع الفتن داخل بيزنطة وانشغال "نقفور" بإخمادها، وكذلك تنامي خطر البلغار، فإن الرشيد لم يحاول استغلال الأوضاع الداخلية للبيزنطيين بالهجوم على القسطنطينية على الرغم وجود قوة بحرية تعزز حملته البرية، أو حتى باقتطاع جزء من الأراضي البيزنطية وتوسيع رقعة الدولة العباسية، بل سرعان ما كان الجيش العباسي يعود إلى مواقعه في مناطق الثغور أو العواصم، مكتفياً بفرض الجزية على البيزنطيين.

المطلب الثاني: التحالف العباسي الفرنجي (الكارولنجي):

اشتهرت شخصية الرشيد في أوروبا نتيجة لعلاقات الصداقة الودية مع إمبراطور مملكة الفرنجة "شارلمان"، والذي كانت عاصمته في ذلك الوقت مدينة "آخن" الألمانية؛ إذ تم تبادل السفارات والبعثات الدبلوماسية بين الدولتين.؛ إذ أرسل شارلمان وفداً إلى هارون الرشيد محملاً بالأقمشة الملكية الفاخرة ليؤكد الصلات الودية بينهما، وليسعَ لدى

[20] طقوش، محمد: تاريخ الدولة العباسية (بيروت: دار النفائس، ط7، 2009)، ص104

الخليفة في نيل بعض الامتيازات الخاصة بالنصارى والأماكن المسيحية المقدسة، وذلك في العام 797م.

كما أراد شارلمان بواسطة هذه السفارات والمُراسلات أن يكسب ود الرشيد وثقته، ورغبةً منه أيضًا بالشُهرة والتفوق على "نقفور" إمبراطور البيزنطيين في الشرق، كما أراد أن يظهر بمظهر الحامي للنصارى في البلاد الإسلامية، وقد سعى شارلمان للاستفادة من التألق العلمي والحضاري عند المُسلمين في ذلك الوقت. ومن الناحية التجارية عمل "شارلمان" على توسيع صادرات الأقمشة إلى أراضي الدولة العباسية، ومن ثمّ تعزيز التجارة في مملكته.

تلخص الكتابات الغربية أغراض هذه السفارة في تحقيق واحد أو أكثر من الأهداف الثلاثة الآتية:

1. تنظيم وضع "شارلمان" في إسبانيا وغرب البحر المتوسط بوصفه مسؤولاً عن مصالح العباسيين في تلك الجهات.
2. التحالف مع هارون الرشيد ضد الأندلس وبيزنطة.
3. تسهيل قدوم الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة في فلسطين وإعفائهم من القيود والتكاليف التي وضعها الرشيد آنذاك على أهل الذمة. [21]

كان الرشيد سعيداً بمقابلة هذا الوفد فأحسن استقبالهم وأغدق عليهم الهدايا بسخاء، وكانت هداياه مميزة، شملت سيوفاً معقوفة مصنوعة من الفولاذ الدمشقي، وحريراً وعطوراً وشمعدانات.

ويُقال إن الرشيد استجاب لهذه السفارات والمُراسلات نتيجة العداء بينه وبين البيزنطيين، ورغبة منه في القضاء عليهم عسكرياً ومعنوياً، وأيضاً نتيجة عداءه للأمويين في الأندلس ورغبته في بسط نفوذه عليهم.[22]

[21] عطا، سمير : العلاقات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان، مرجع سابق، ص70

[22] القطان، أحمد والزين، محمد طاهر: هارون الرشيد الخليفة المظلوم، مرجع سابق، ص123-124

وبالمقابل، أرسل الرشيد بعثته الأولى إلى" شارلمان" ملك الفرنجة لتوثيق الصلات التجارية والثقافية.[23] إذ وصلت أولى بعثات الرشيد إلى بيزا شمال إيطاليا في العام 801 م يحملون معهم بعض قطع القماش الفاخرة الموشاة بخيوط من الذهب، وبسط ديباج من طبرستان، وعطورًا من اليمن والحجاز، وشطرنجاً من العاج المنقوش... وبعض الهدايا القيمة الأخرى، كما تضمنت الهدية فيلاً أبيض كان أحد ملوك الهند قد أرسله هدية إلى الخليفة المهدي،[24] وكان المبعوثون قد أطلقوا اسم (أبو العباس) على الفيل، تيمنًا بمؤسس السلالة العباسية.((25] حيث تم اللقاء بين وفد الرشيد وشارلمان في روما حيث كان شارلمان يتباحث مع بابا روما في بعض الأمور، الأمر الذي يقتضي منه البقاء في روما شهرين أو ثلاثة.

وقد سُر "شارلمان" بنتائج سفارته الأولى، فأوفد إلى الرشيد سفارة أخرى في العام 802م لتوثيق العلاقات مع العباسيين، لاسيما أن بغداد بلغت أوج رُقيها العلمي والحضاري في عهد الرشيد، في حين كانت أوروبا تغرق في ظلام الجهل والتخلف العلمي والحضاري.

ردًا من الرشيد على معاودة مراسلته، قام بإرسال بعثته الثانية إلى "آخن" في ألمانيا في العام 802م، وكان مبعوثو الرشيد، قد شقوا طريقهم عبر البحر الأبيض المتوسط، فعبروا إلى إيطاليا وجبال الألب حتى وصلوا إلى "آخن"،[26] وقدموا إلى "شارلمان" هدايا الرشيد في مشهد مهيب، وهي عبارة عن خيمة هائلة الحجم مزينة بأبهى النقوش، بالإضافة للأقمشة الحريرية، وساعة مائية دقيقة تعمل بطريقة ميكانيكية مصنوعة في بغداد من البرونز المطلي بالذهب، وحينما تدق ساعة الظهيرة، يخرج منها اثنا عشر

[23] الزحيلي، وهبة: العلاقات الدولية في الإسلام (دمشق: دار المكتبي، ط1، 2000)، ص16
[24] كارلس، دبفز : شارلمان، تعريب السيد الباز العريني (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1959)، ص202
[25] البهيجي، إيناس محمد: تاريخ الدولة العباسية، الجزء الأول، مرجع سابق، ص41
[26] الحسن، يوسف: "ظلموك يا هارون الرشيد"، جريدة الخليج، 2015/6/30

فارسًا من اثنتي عشرة نافذة تغلق من خلفهم، وقد تملك العجب "شارلمان" وحاشيته من رؤية هذه الساعة العجيبة، وظنوها من أمور السحر.[27]

كما قام بعض الرهبان بنصح شارلمان بالتخلص منها لاعتقادهم أن الجن هم من يحركونها، وتدل تلك القصة على الفارق الحضاري والعلمي بين أوربا والعالم الإسلامي في العصور الوسطى.

من الواضح أن هدايا الرشيد إنما هي تعبير عن تضامنه مع حليفه "شارلمان" الذي مني بهزيمة بحرية أمام البيزنطيين قرب "دالمانيا"، فضلاً عن مؤامراتهم ضده في جنوب إيطاليا.

ولعل ما يوضح دعم الرشيد لسياسات "شارلمان" منحه لقب حامي قبر المسيح في القدس والولاية على المؤسسات الدينية المسيحية في الشرق الإسلامي التابع للدولة العباسية، كالتدريس والصيانة وتنظيم رحلات الحج وقوافله إليها.

إلا أن تطلعات الرشيد، لم تكن صائبة دوماً فمع تطور الأوضاع في الأندلس أرسل "شارلمان" حملة عسكرية بقيادة ابنه "لودفيج" لغزو بعض الموانئ الأندلسية، لكن جيشه تقهقر وتلقى هزيمة كبيرة على يد الأمويين في جبال البرنس.

المطلب الثالث: سياسة هارون الرشيد نحو الإمارة الأموية في الأندلس:

تأسست إمارة الأمويين في الأندلس نتيجة سقوط الدولة الأموية في المشرق على يد بني العباس، الذين أخذوا بعدَ قيام دولتهم بمُلاحقة بني أمية وقتلهم، ولذلك فقد فرَّ كثير منهم بعيدًا محاولين النجاة بأنفسهم، وقد كان من بين هؤلاء عبد الرحمن الداخل، الذي فرَّ إلى الأندلس، وأعلنَ استقلاله فيها.[28]

وبذلك، أضحت الأندلُس بلداً إسلامياً مستقلاً عن الخِلافة العباسية في المشرق، ولم تُحاول الدولة العباسية استعادتها في عهد الرشيد، فكانت تقوم على سياسة الاعتراف

---

[27]"هارون الرشيد... والعصر الذهبي للدولة العباسية" موقع إلكتروني: إسلام أون لاين، مرجع سابق، د.ت

[28] القاسمي، خالد: تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2008)، ص13

بالأمر الواقع في تلك البلاد وعدم الخوض في مغامرات غير مأمونة العواقب كما فعل الخليفة المهدي وجده المنصور، لهذا اكتفى الرشيد بالتحالف مع مملكة الفرنجة للحد من توسع الدولة الأموية.

في العام 777م ائتمر بعض زعماء العرب في الشمال الشرقي من الأندلس وألفوا كتلة قوية وانتقضوا على عبد الرحمن، وتعاقدوا مع" شارلمان "الذي كان مهادناً للرشيد.

ولكن زحف "شارلمان"، في العام 778م باء بالفشل عندما أغلقت مدينة سرقسطة في وجهه، وهجم سكان الجبال على جيشه، حتى فقد كثيرًا من أتباعه ومتاعه، واستعان عبد الرحمن الداخل في الانتصار على" شارلمان" بجيش منظم ومدرب يبلغ نحو أربعين ألف مقاتل من البرابرة الذين استجلبهم من أفريقيا، فلما خُذِلَ "شارلمان "يئس الرشيد من الاستيلاء على الأندلس).[29]

على الرغم من ذلك، لم يشكل استقلال الأندلس خطراً مباشراً على الدولة العباسية، ولم تمتد المعارك إلى المواجهة المباشرة، غير أنه جرت محاولات عابرة قام بها العباسيون لإعادتها إلى الخِلافة، لكنها لم تحقق شيئاً.

كما أقام الرشيد في أفريقية دولة مستقلة في نطاق التبعية للخلافة العباسية وهي دولة الأغالبة التي كانت بمثابة دولة حاجزة لحماية أطرافه الغربية من أخطار الخوارج، والأدارسة، والأمويين،[30] ولم يلبث إبراهيم بن الأغلب مؤسس هذه الدولة أن شرع في بناء مدينة (العباسية) على بعد ثلاثة أميال جنوبي القيروان، وجعلها قاعدة لإمارته في العام 800 م.[31]

---

[29] الأمين، أحمد: هارون الرشيد (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2014)، ص128

[30] البهنجي، إبناس محمد: تاريخ الدولة العباسية، الجزء الأول، مرجع سابق، ص43

[31] العبادي، أحمد مختار : في التاريخ العباسي والأندلسي (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1972)، ص92

الخاتمة:

من الواضح أن الدولة العباسية شهدت في عهد الرشيد حضوراً مميزاً في الجوانب الفكرية والأدبية، إلا أنها لم تشهد توسعاً ملحوظاً؛ لاكتفاء الرشيد بإقامة علاقات صداقة ودية مع الفرنجة، وقبوله بفرض الجزية على البيزنطيين، والإقرار بسياسة الأمر الواقع في علاقته مع الأمويين.

نتائج البحث:

- على الرغم من أن الدولة العباسية انتهجت سياسة هجومية تجاه الإمبراطورية البيزنطية، إلّا أنها اقتصرت على محاولة فرض الجزية، دون الرغبة في توسيع رقعة الدولة.
- من الواضح أن شارلمان هو من بدأ بطلب ود الرشيد بإجماع مختلف المصادر العربية واللاتينية على ذلك. ومن ثمّ، فإن وفود شارلمان إلى الرشيد اقتصرت على طلب السماح للحجاج المسيحيين بزيارة الأماكن المقدسة، بدليل أن الرشيد كان في موقع قوة.
- من غير المنطقي أن يطلب الرشيد من "شارلمان" مهاجمة الأندلس– كما تزعم بعض المصادر العربية المنقولة عن التراجم اللاتينية– بدليل أن الرشيد قبل بالاستقلال الإداري للقيروان في المغرب العربي (دولة الأغالبة)، كما لم يسعَ إلى توسيع رقعة دولته في مجمل الحروب التي خاضها ضد البيزنطيين. ومن ثمّ، فإن فرضية البحث القائلة بأن الهدف من التحالف بين الدولة العباسية ومملكة الفرنجة هو مواجهة النفوذ البيزنطي والأموي مرفوضة.

المراجع

أولاً: الكتب:

- الأمين، أحمد: هارون الرشيد (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2014).
- البهيجي، إيناس محمد: تاريخ الدولة العباسية، الجزء الأول (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2017).
- الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (بغداد: مطبعة المعارف، 1948).
- العدوي، إبراهيم: السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى (القاهرة: دار المعارف، 1957).
- الزحيلي، وهبة: العلاقات الدولية في الإسلام (دمشق: دار المكتبي، ط1، 2000).
- العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1972).
- القاسمي، خالد: تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2008).
- القطان أحمد، ومحمد طاهر الزين: هارون الرشيد الخليفة المظلوم (الكويت: مكتبة السندس، 1989).
- بك، محمد الخضري، ومحمد العثماني: الدولة العباسية: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (بيروت: دار الأرقم، ط1، 2016).
- حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الثاني (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1948).
- رمضان، عبد العظيم: الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية (القاهرة: دار المعارف، 1983).
- صقر، نادية: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول (مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، ط1، 1985).

- طقوش، محمد: تاريخ الدولة العباسية (بيروت: دار النفائس، ط7، 2009).
- عبد الحافظ، أحمد: أيام الرشيد (القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 2015)، ص307
- عبد الحكيم، منصور: هارون الرشيد سيد ملوك بني العباس الخليفة الذي شوّه تاريخه عمداً (دمشق: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، 2011).
- غيفونديان، آرام تير: أرمينيا والخلافة العربية، ترجمة: ألكسندر كشيشيان (دمشق: نادي الشبيبة السورية الثقافي، 2017).
- كارلس، ديفز: شارلمان، تعريب السيد الباز العريني (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1959).
- كلو، أندريه: هارون الرشيد ولعبة الأمم، ترجمة: صادق الموسوي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005).

ثانياً: المجلات والصحف:

- عطا، سمير: العلاقات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان، مجلة الفيصل (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد 306، 2002).
- يوسف الحسن: "ظلموك يا هارون الرشيد"، جريدة الخليج، 2015/6/30

ثالثًا: المواقع الإلكترونية:

- تمام، أحمد: "هارون الرشيد.. والعصر الذهبي للدولة العباسية" موقع إلكتروني: إسلام أون لاين، د.ت

https://archive.islamonline.net/?p=9104

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- Mary McWilliams ،ed., In Harmony :The Norma Jean Calderwood Collection of Islamic Art ،exh .cat ،.Harvard Art Museums Cambridge ،MA. (2013)
- Benjamin Jokisch ،Islamic Imperial Law: Harun-Al-Rashid's Codification Project (Berlin ،Walter de Gruyter .(2011)

* تاريخ ورود البحث:2020/11/15
تاريخ الموافقة على نشر البحث:28 /2021/04